الأنبـــاط

وأطلول بترا الخالدة

للاستاذ خليل جمعة الطوال

— ١ —

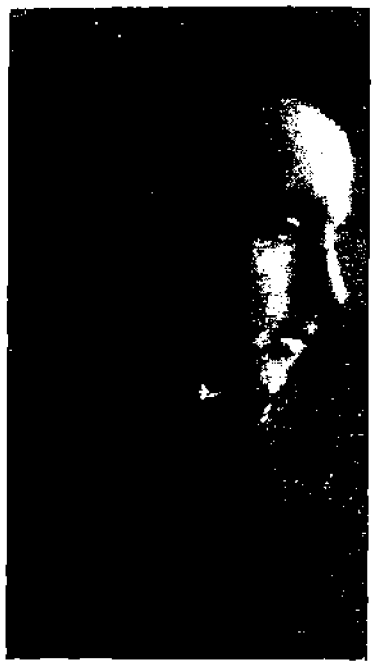

الأنباط قوم من العرب الساميين . ويذهب المؤرخ الشهير فلافيوس يوسيفوس ، إلى أن نسبهم يتصل بنبايوت بن اسماعيل ، ابن هاجر ، (زوج سيدنا ابراهيم) ، [٢] ولكنّ المؤرخ الكبير مومسن يخالف هذا الرأى ، فقد ذكر أن الآراميين قد انشأوا قديماً من رعاياهم مستعمرة فى خليج العرب لتربط طرقهم التجارية مع الجنوب . وقد نزح سكان هذه المستعمرة فيما بعد، واستوطنوا بترا الواقعة فى شبه جزيرة سينا ، بين خليج السويس وأيلة ، وأن هؤلاء الأنباط الذين يرجح أنهم أقرب إلى الفرع الآرامى منهم إلى أبناء اسماعيل [٢] . ولكن مومسن لايذكر إلى جانب هذا الزعم ، الذى اتفق جمهور المؤرخين على مخطئته ، أسباب نزوح هؤلاء القوم، وتاريخ نزوحهم ، ولا أشار إلى عدد النازحين منهم ، وفى ذلك كله مجالٌ طويل للافتراض والشك ... على أنه مهما يكن من الغموض والاختلاف فى نسب الأنباط إلى نبايوت أو غيره ، فان المصادر جميعها متفقة على نسبتهم إلى الفرع السّامى ، بدليل طراز معيشتهم البدوية ، وعاداتهم وتقاليدهم العربية ، وبدليل أنهم كانوا يتكلمون العربية ، ولمْ يتكلموا الآرامية إلاّ بعد احتكاكهم بالرومان [١] . وتدل الآثار والنقوش النبطية الكثيرة التى اكتشفت فى مدائن صالح على أن خط هجرتهم إلى بترا كان من الجنوب إلى الشمال ، أى أنهم نزحوا من أواسط سهوب البادية واستوطنوا جنوب الأمارة الأردنية الحاضرة ، وكانوا حيثما نزلوا يقيمون فى مضاربهم المصنوعة من الوبر والشعر ؛ دون أن يعمدوا إلى الكهوف ، أو إلى إقامة الأبنية الحجرية . وإن فى خروجهم من قلب البادية لأكبر دليل على ساميتهم ، وعلى نسبتهم إلى أصل عربى . أمّا المستر هورسفيلد فيخالف هذا الزعم فى مبدإ هجرتهم ، ويزعم أنها كانت من الشرق لا من الجنوب [٢]

كان الأنباط فى أول أمرهم يشتغلون بالقرصنة على سواحل البحار وبالسلب والنهب ، ولكنهم عند ما سكنوا بترا وأجلوا عنها الآدوميين ، وجهوا همهم نحو التجارة ، لأنّ بلادهم كانت معقلاً للقوافل التى كانت تسير بين أواسط آسيا ومصر ، ومركزاً لتبادل المتاجر والبضائع التى كانت تمر بها من الجزيرة والهند ، وأهمها التمر ، والبن والأبسطة ، وريش النعام ، والعاج والبخور ، والتوابل ، والبهارات — بالمنسوجات والمصنوعات الخزفية ، والحرير ، والأدوات التى كانت ترد من سواحل فلسطين الفينيقية ، ومن سوريا ، ومصر ، فأثروا من ذلك ثراء طائلا ، واستولوا على جميع الطرق التجارية ، واحتكروا النقل عليها بغير منافس مدة طويلة من الزمن ، حتى كانت جواسقهم تفيق بالمال ، وآبالهم تنوء بالخير والرزق ، فتجردوا عن بداوتهم وبدأوا بالتحضر رويداً رويداً فزادت معنوياتهم وقويت شوكتهم وهيبتهم ، حتى لقد خطب البابليون ودّهم وتحالفوا معهم فتخوف منهم الأشوريون وسيروا إليهم عام ٦٤٦ ق . م . قلة من جيوشهم فغلبت ملكهم تاطمو ، وأخضعوه لسلطانهم حيناً من الزمن . ولما اعتلى أشور بانيبال العرش الأشورى ، جرد جيشه ثانية وأعاد الكرة على البابليين ، فالتقى بهم فى عزاليا (٦٤٠ — ٦٣٨ ق.م) وقد انضم إليهم الأنباط ، فدارت بين الفريقين رحى الحرب ، وكان النصر أخيراً للأشوريين عليهم ، وذلك للمرة التاسعة . فأسروا امرأة

(١) راجع : The Works of Flovious Josephus

(٢) راجع : Mommsen : History of Rome. Vol. IV. P. 133

(١) راجع : Bouchier : Syria asa roman Province 1916

(٢) راجع : تاريخ شرق الأردن وقبائلها تأليف اللفتنت كولونيل فردريك ج . بيك

يوتحا وأخته وأمه ، وحملوهن إلى الشام، وقطعوا على الأنباط موارد الماء جميعها ، وذلك لانضمامهم إلى أعدائهم البابليين ، ولأنهم أجاروا ملكهم « يوتحا » ، ولما اشتد بهؤلاء العطش ولم تغنهم عن المال آبالهم العديدة التي نحروها، قبضوا على يوتحا وسلموه إلى أعدائه الأشوريين ، فأرسله إلى نينوى وشدوه من فكه إلى أحد أبوابها حيناً من الزمن

وفى عام ٣٣٤ ق . م . اكتسح الاسكندر المقدونى سوريا وفلسطين ، وكان الأنباط قد تحصنوا فى بلدة غزة ، فلما جاءها قاومه النبطيون مقاومة شديدة ، ولكنه أخيراً تمكن من فتحها واكتساحها

وفى عام ٣١٢ ق . م . وجه ملك سوريا (أنتفونس) إلى الأنباط جيشاً لجباً مؤلفاً من ستمائة فارس وأربعة آلاف من المشاة وكان على رأسه القائد العظيم أثنيوس . فاخترق عمون ومؤاب بدون مقاومة ثم نزل بترا فجأة واحتلها بسهولة ، ذلك لأن الأنباط كانوا يقاتلون فى بعض الجهات الأخرى ، ولما عاد جيش النبطيين من جهاده حمل على الجيش اليونانى حملة غماء الجبين ، وهزمه هزيمة منكرة ، واستأصل شأفته ، حتى لم ينج من ذلك الجيش الجرار سوى خمسين فارساً

ثم جهز أنتفونس جيشاً آخر مؤلفاً من أربعة آلاف فارس ومثلها من المشاة بقيادة ابنه ديمتريوس ، وسيره ليثأر لأبطاله من الأنباط ، ولكن النبطيين هجروا المدينة (بترا) بأبلهم وأرزاقهم ولجأوا إلى الصحراء ، ولما دخلها ديمتريوس لم يجد فيها سوى العجزة ، الذين افتدوا أنفسهم بالمال، ورجع عنهم إلى دمشق

وفى عام ٢٨٦ ق . م . ارتقى عرش مصر بطليموس الثانى فأغار على بلاد الأنباط غير مرة ولم يتمكن من اكتساحها فعمد إلى محاربتهم اقتصادياً ، إذ استولى على طريق تجارة الهند ، فانحطت معنوياتهم ، وناالهم الأزمة ، ثم دخل البطالسة حرباً جديدة ضد السلوقيين فى سوريا ، فاستغل النبطيون هذه الفرصة إذ استرجعوا مكانتهم الاقتصادية وبسطوا نفوذهم حتى بصرى شمالا وفلسطين غرباً ، وأخيراً عهد إليهم المصريون البطالسة [1] بحراسة الحدود المصرية ، فصاروا أمة ذات هيبة وشأن

أما أشهر ملوكهم بعد ناطمو فكان (أرطاس الثانى) ،

(١) راجع Journal of Egyption Archeology Vol. XV.

وفى عهد هذا الملك الذى امتد حكمه من (١١٠ — ٩٦) ق.م وفى عهد خلفائه : أوبيدس الأول ؛ وروبال الأول ؛ وأرطاس الثانى بلغت دولة الأنباط أوج رفعتها وعلائها ، إذ كانت متمتعة بالاستقلال الناجز التام ، كما كانت اقتصادياتها فى حالة ممتازة ، وفى عهد اسكندر جانوس عمت الفوضى والانحلال الحكومة السورية البيزنطية ، واشتدت كراهية السوريين للمستعمرين البيزنطيين ، حتى إنهم كانوا عوناً لكل خارج عليهم أوطامع فى مناوشتهم ، ولذلك لم يلق الحارث فيلهلين (٩٥ — ٥٠ ق. م .) مقاومة عنيفة . حين زحفه على الشام . بل سرعان ماسلم له السوريون مقادة أمرهم ومقاليد دولتهم ، ليتخلصوا من ظل الارهاق البيزنطى المقوت . وقد تولى سوريا من بعد الحارث خمسة ملوك نبطيون ، وهم : مالك (٥٠ — ٣٨ ق . م .) وعبادة (٣٠ — ٧ ق . م) والحارث الثانى الملقب بفلوديموس (٧ ق . م — ٤٠ ب . م .) ومالك (٤٠ — ٧٥ ب . م) ودابل (٧٥ — ١٠٦) [1]

(١) راجع Palestin Exploroition P. 69

رحلة المحيط الهندى

فى سفينة مصرية

رددت أخبارها صحف العالمين

الانسانية فى شتى مظاهرها تطالعك من صفحات

سندباد عصرى

بقلم

حسين فوزى

١٢ قرشاً أطلبه اليوم من المكاتب ١٢ قرشاً

وقد كانت مملكة الأنباط ممتدة من جنوبي أرنون إلى مدائن صالح ، والجزء الجنوبي من شرقي الأردن الواقع شرق الخط الحجازي حتى دمشق وبصرى ، وجبل الدروز ، وفي عام ٦٧ ق . م . اتفق الحارث فيلهلين مع الفرس على أن يساعدوه في استرداد بلاده التي اغتصبها اسكندر جانوس ، فجهز جيشاً مؤلفاً من الأنباط والفرس يبلغ (٥٠ ألف محارب) ، وسار على رأسه لحصار أرسيبلوس في قصره ، ولكنه رجع من حصاره مغلوباً

وفي عام ٦٤ ق . م . بينما كان بومبي مشغولا بتسكين ثورة اليهود في فلسطين ، جهز جيشاً بقيادة ماركوس سكوروس ، وسيره لمقاتلة الأنباط ، فتصادم معهم على شواطئ الأردن ، فناوشهم طويلا ، ولكنه لم يستطع قط أن يخترق بلادهم ويتوغل في جنوبي شرق الأردن . وانتهت هذه المناوشات بتدخل انتباتر الكاهن اليهودي ، إذ استطاع أن يقنع الملك النبطي (الحارث) بأن يدفع لسكوروس القائد الروماني مبلغاً معيناً من المال فدية لبلاده . (راجع تاريخ روما ص ١٣٨ — ١٣٩ لمومسن) . وتخليداً لذكرى هذا الانتصار ضرب سكورس نقداً عليه صورة الحارث يقود جملا ، ويقدم إلى الرومانيين غصناً من الزيتون .

وفي عام ٣٤ ق . م أهدى أنطوني ٦٧١ جزءاً من بلاد الأنباط إلى كليوبطرا ، وهذه بدورها أهدته إلى هيرودس ؛ فكبر على الأنباط أن يروا بلادهم سلمة تتهاداها الملوك ، فجيش ملكهم المعروف « بمالك » عساكره ، وانقض بهم على كيلوبطرا فانتصر عليها في واقعة ، قرب السويس ، وأغرق أساطيلها التي كانت في البحر الأحمر . ولما بلغ أنطوني خبر انحدار معشوقته ، جهز جيشاً عظيما وسيره بقيادة هيرودس ليثأر لها من الأنباط ؛ وكان ذلك عام ٣٢ ق . م فانتصر عليهم في بادئ الأمر ، ثم امتد خط القتال حتى كانا وهناك أديل للأنباط من الرومانيين في معركة حامية الوطيس ، ثم جهز هيرودس جيوشاً جديدة والتقى بالأنباط قرب مدينة عمان (عاصمة شرق الأردن الحاضرة) وفتك بهم فتكاً ذريعاً ، فانسحبوا حتى تحصنوا بأم الرصاص (قرب مدينة مأدبا) تدل على ذلك النقوش والكتابات النبطية التي اكتشفت فيها والتي يرجع عهدها إلى عام ٣٩ م

ولما اعتلى عرش الأنباط الحارث الثاني المعروف بفلوديموس أخذ يخطب ودّ الرومان الذين كان قد امتد نفوذهم إلى المملكة النبطية ، فزوج ابنته من هيرودس التراكي ، ولكنها لم تلبث أن طلقته هاربة إلى أبيها في بطرا ، لأنها اكتشفت علاقاته الغرامية مع هيروديا زوج أخيه ، فاستشاط الحارث غيظاً لشرف ابنته وانقض على هيرودس وهزمه[1] .

أما اليونان فقد ظلوا يهتبلون السوانح ويتحينون الفرص المناسبة ليثأروا من الأنباط لهزيمتهم عام ٢٥ ق . م . حتى كان عهد تروجن فجهز عام ١٠٦ ب . م . جيشاً لجباً بقيادة أولوس كرنيليوس ، حاكم سوريا ، وسيره إليهم ، فقضى هذا الجيش على تلك المملكة العظيمة التي دام عهدها التاريخي زهاء ستة قرون وأقصى آخر ملوكها وهو دابل عن العرش

(يتبع — شرق الأردن) نبيل محمد الطوال

(١) راجع : The Works of Jasephus Books XV. & XIII

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الأديب

ابي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ، وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة في القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

وهو مضبوط بالشكل الكامل ويقع في قرابة ٥٠٠ صفحة

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة ويباع في جميع المكاتب الشهيرة